

الأنظمة التعليمية الوافدة إلى غرب أفريقيا وآثارها على المجتمع

ورقة مقدّمة إلى ((ملتقى الجامعات الأفريقية))

تقيمه جامعة أفريقيا العالمية بالسودان

يناير 2006م.

داود عبد القادر إيليغا

محاضر بكلية محي الدين للدراسات العربية والإسلامية

كولندي إلورن، ولاية كوارا، نيجيريا.

مقدّمة:

تتناول الورقة الأنظمة التعليمية الوافدة إلى منطقة غرب أفريقيا باختلاف أنواعها ومشاربها وآثارها الإيجابية والسلبية على المجتمع، وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية: ما هي ثقافة أهل غرب أفريقيا قديماً؟، وما هي الثقافات الوافدة إليها وأنظمتها التعليمية؟ وكيف وفدت هذه الثقافات ونشأت وترعرعت؟ وهل لها أي تأثير في ثقافتنا في المنطقة؟ وما هي العوامل المساعدة لها في هذا التأثير لو كانت كذلك؟ ثم ما هي الفروق بين هذه الثقافات من حيث التأثير؟.

ولقدني أن تساهم الورقة بما تحتويه في إصلاح المجتمعات الإسلامية التي يعتبر مجتمع غرب أفريقيا جزءاً منها. وعسى أن تستفيد منها كذلك لطلات في إصلاح المجتمعات الإسلامية لأخصّ المسؤولين المشاركين من أهل المنطقة في هذا المؤتمر، الذي يتزامن مع القمة الإفريقية لاجتماع رؤساء الدول الأفريقية، المنعقد بالخرطوم، السودان وهي الأرض التي تتمتع بموقعها الجغرافي والاستراتيجي المتميز في أفريقيا، الذي نتج عنه الثراء الواضح في البيان الإثني لتعدد اللغوي والتسامح الديني¹.

ومن أهم ما يساعدني في تناول هذا الموضوع - في نظري - أنني من أبناء منطقة غرب أفريقيا، وهي المنطقة التي عايشتها وترعرعت فيها، عارفاً وملاحظاً فيها أسرار الأنظمة التعليمية فيها بل قد مررت خلال حياتي التعليمية ببعضها.

وأتناول هذا الموضوع المشار إليه أعلاه خلال النقاط التالية:-

منطقة غرب أفريقيا أرضاً وشعباً:

يَحدُّ هذه المنطقة شمالاً بالأفريقيا الممتدة إلى الصَّحراء الكبرى، وجنوباً ببلاد الكنگو والمحيط الأطلنطي، وشرقاً ببلاد السودان الشرقي، وغرباً المحيط الأطلنطي².

وقد عرفَ غرب أفريقيا في عهده القديم ببلاد التَّكرور، ثمَّ اشتُهِرَ باسم السودان الغربي قبل الاحتلال الأوربي، ومن أهمِّ ممالكها؛ مملكة التَّكرور، ومملكة غانا القديمة، مملكة مالي السَّابِقة، وتلي هذه الممالك مملكة سنغا، وأهير، وبرنو، وبلاد هوسا ويوريا...³. ولكنَّ استولى على أراضيها الاستعماريون فسَّموها إلى أقسامٍ سِيَّاسَتِيَّ وَحدَّوها تحديداً رسمياً على حسب أغراضهم الشَّخصية، واخترعوا لكلِّ منها عنواناً مخصوصاً⁴. وهي: مالي السَّغال - غامبيا - موريتانيا - غينيا كوناكري - سيراليون - ليبيريا - ساح العاج - غانا - بوركينا فاسو - توجو - بنين - النيجر - نيجيريا التي هي أعظمها سكاناً وأوسعها أرضاً وأكثرها ثقافة⁵ وتبلغ مساحتها ستة ملايين كيلومتر مربع تقريباً⁶.

ويمكن تقسيم سكانها حسب أصولهم العرقية إلى شعوب أو مجموعات رئيسة على النحو التالي:- شعوب يقطنون في النُّطاق الجنوبي الصَّحراء وهم المغاربة والطَّوارق والتَّيدا، و شعوب تشاد، وهم زنج اختلطوا ببلب التَّيدا، وكذلك الفولا والهوسا وهم شعوب النُّطاق الشَّمالي، وشعوب من سلالات الماندينجو والكريبووولايوريا، وهؤلاء هم شعوب النُّطاق الجنوبي، وأمَّا اللولوف والتَّكلور والسَّيرير والبوله⁷ والشَّعوب السَّغالية، و شعوب الماندي وهم مجموعة لغوية وليست سلالية وتضمُّ الماندينجو والسَّونكا وغيرهم⁸. وأمَّا مجموعة الصَّغالي ونغاي والزيرما والاندي⁹ فهم يعيشون حول وادي النيجر الأوسط. ثقافة غرب أفريقيا:

وكانت ثقافة غرب أفريقيا قبل الإسلام ثقافة يحها فكر وثقافة ذبَّتْ مقولاته على مسلمات ديانات وضعية، خالياً من القيم العقلانية أو المادية المؤثرة¹⁰؛ فهي تفسر ظواهر الكون وفق رؤى الإنسان البدائي ولما كانت هذه هي الثقافة القومية فهي بالتالي لم تكن تعرف أصوليات التعليم المدرسي، وإنما كانت قناة التعليم الوحيدة بها المنهج البيئي أظلم الإقتداء الحرفي بالرَّاشدين على سبيل التلمذة الصَّناعية¹¹.

وبصوِّر لنا الشَّيخ الحاج آدم عبد الله الألوري ثقافة غرب أفريقيا قديماً في أنَّ نظام الحكم في المنطقة قبل الإسلام هو نظام أرسنقراطي بحت، إذ يتوارث للحكام مناصبهم كابراً عن كابر وزمام الأمر بيد الملوك، ويعاونهم أمنوهم من كبار مواليمهم المخلصين لهم، ومن رؤساء جنودهم الحارسين لمملكتهم ومن كهنتهم المشيرين لحركاتهم والقضاة فكبير كلِّ عائلة قاضيها، ورئيس كلِّ قبيلة حاكمها، وقاضي القضاة هو الملك الذي يعبر نفسه نائباً عن الله في أرضه كلِّ كبيرٍ ورئيسٍ حقِّ سماعِ القضايا فهناك ولاية خاصة، أمَّا القضايا الكبرى فإذها تُرفع إلى مجلس الملك فيجتمع الأعيان

لسماعها، والنظر فيليبس لهم قانون مدون في كتاب، إذ ما يحفظون في صدورهم ما يتوارثونه عن أسلافهم من تقاليد وعادات.

أما بالنسبة للقوول لها القتل لمن قتل نفساً بغير حق، أو كان لصاً محارباً أو خائناً للوطن، أو مخالفاً لأمر السلطان على سبيل الاستفزاز. الذفي، وهو جزاء من استحق القتل من العظماء الذين يخشى من قتلهم للفتنة الغرامة، وهو جزاء من زنى بامرأة محصنة متزوجة، فيؤخذ ما يعدل ثلث المهر الأصلي على المرأة وتجهلتم رعي تعويضاً له عن التمتع والتلذذ بالمرأة المتزوجة، والرهن هو ما يحبس المديون لدائنه كأن يدب سنده ولده ليستغله حتى يدفع ما يطمح من الدين عاجلاً أو آجلاً¹².

الأنظمة التعليمية الوافدة وطرق وصولها إلى غرب أفريقيا:

إن من أهم ما اختتبه منطقة غرب أفريقيا وجود الطرق المتعددة الموصلة إليها من زمن بعيد، لأمر الذي جعل الناس يأوون إليها رجالاً وركباناً على حسب أصولهم ومختلف عروقهم ولغاتهم وألوانهم هذا الذي حث أهل المنطقة على فتح العلاقات التجارية بينهم وبين شعوب أخرى.

"فقد ظهلت تجار العرب منذ النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي، وزاد نفوذهم بعد غزو المرابطين لمملكة غانا عام 1077م (479هـ). وكانت تلك الفترة المعاصرة للعصور الوسطى في أوروبا، هي فترة ازدهار لطرق التجارة الصحراوية من منتصف القرن الثالث عشر الميلادي (الربيع الهجري) إلى نهاية القرن السادس عشر الميلادي (العاشر الهجري) فقد شهدت هذه الفترة طلباً ملحاً على منتجات غربي أفريقيا من جانب أوروبا أفريقيا الشمالية، ورد ما ساعد على هذا أيضاً الحكومات المستعمرة في كل من أفريقيا الشمالية وغرب أفريقيا"¹³.

وقد اشتهرت أربعة طرق تجارية بين شمالي القارة وغربها ووسطها وهي:

من تونس وليبيا إلى منطقة بحيرة تشاد. ومن تونس إلى بلاد الهوسا. ومن الجزائر إلى أواسط نهر النيجر. وكذلك المغرب إلى أعالي نهر النيجر وحوض نهر السنغال.

وهذه التجارة مقايضة الملح بالذهب الذي يكثر وجوده بين نهر النيجر والسنغال، كما كانت التجارة تشمل جلب الرقيق وغيره من السلع. واتخذ التجار من هذه الطرق وفروعها منافذ لتجارتهم. وكهلو الحال في السودان وادي النيل، كان التجار يجمعون بين دور التاجر والعالم أو "المبشر" في بث العقيدة الإسلامية نتيجة لهذه الصلات السلمية اتسع نطاق التجارة، وزادت الهجرة، فاتصل التجار بالوطنيين وخالطوهم السكك وكثرت المصاهير ذلك كله لانتشار الإسلام بين الشعوب السوءاء التي تنتشر في إقليم مثل قبائل الولوف والتكرور، والسونكة والديوله والسنغاي والماندنغو والفلاتة والهوسا والكانوري وغيرهم¹⁴. كما أصبح المحيط الأطلسي أداة ربط بين المنطقة وبين أوروبا والعالم الغربي بعد أن كان قد أدى وجوده إلى فصل غربي أفريقيا عن العالم الخارجي من الجنوب والغرب رداً من الزم إلى أن تم الكشف الجغرافي،"¹⁵.

ومن هذا المنطلق ندرك إمكانية وفود أنظمة تعليمية من شعوب أخرى نتيجة لدخول ثقافتها إلى المنطق ولعل أهمها ما يلي:

أولاً: الثقافة العربية الإسلامية وأنظمتها التعليمية:

والثقافة العربية الإسلامية هي الثقافة التي نشأت بقيام الدولة الإسلامية بعد هجرة الرسول

صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة. دامت هذه الثقافة مع انتشار الإسلام من حدود الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً، وبلغت قمة ازدهارها فلقننين الثالث والرابع الهجريين¹⁶. اتخذت هذه الثقافة اللغة العربية لغة لها، وهي التي كانت عبر العصور أثر قوي في القارة الأفريقية، وهذا الأثر تمثل في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية. كيف دخل الإسلام وتم نشره في المنطقة؟:

إن القارة الأفريقية هي أولى القارات التي حظيت بدخول الإسلام إليها - بعد ظهوره في الجزيرة العربية- ويرجع ذلك إلى المهجلمين الأوّلين الذين آمنوا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة.¹⁷

ويقول الدكتور يوسف فضل حسن عن انتشار الإسلام بعد هذه المرحلة "الإسلام بدأ انتشاره في القارة الأفريقية بعد سنوات قليلة من استتباب الأمر له في جزيرة العرب، الركن الشمالي الشرقي أرة الأفريقية تدفق العرب المسلمون حتى بلغوا ساحل المحيط الأطلسي، كما غلوا تدريجياً عبر إحل البحر والمحيط الهندي، ومنها انتقل الأثر العربي الإسلامي حتى شمل أجزاء كبيرة من القارة الأفريقية"¹⁸

وأما دخوله في غرب أفريقيا بالتحديد فقد رجح بعض علماء هذه المنطقة نول بأن دخول الإسلام إليها يرجع إلى القرن الأول الهجري على يد عقبة بن الصّحابي الجليل، إذ أنه وصل إلى قبائل الروم في المنطقة فدعاهم إلى الإسلام فأسلم ملكهم من غير قتال وتزوج عقبة بنت ذلك الملك واسمها (بج منغ) فولدت له أولاداً نولاً في بلاد أمهم وتكلموا بلغة أبيهم....¹⁹. من أهم من قاموا بنشره في المنطقة قاصداً النشار الأربعة²⁰، منذ (1300) إلى (1700م)، وهم المنديون المسمون تارة بـ (ونغرا) وتارة بـ (المالين)²¹ والقلبة المسمون بـ (الذوّارايون) من ((فوتاتور)) والجخكي وهم أتباع الحاج سليم الذي أنشأ زمرتهم وحزبهم في ((مشينا)) في ((بمبوك))، والقبيلة الكنتية التي هاجرت من القيروان إلى (تاهرت)) جنوب الجزائر ومنها هاجرت في القرن الخامس عشر إلى غرب أفريقيا²².

أما جاء الإسلام ود كثير من أقطارها عم، إوُنا وملوكاً بالذظام الإسلامي، وكان

لواء الفقهاء دورٌ عظيمٌ في تبيين أمِّ اللّٰه ورسولِهِ فيما يصدر للنّاس في حياتهم الفرديّة والاجتماعية وعلى كلِّ إقليمٍ إسلاميٍّ ملكٌ أو سلطانٌ يَحمل لقباً معيناً مثل: "الماي" لأهل برنو، و"المنسا" لأهل مالي، و"الزا" و"السن" و"أسكيا" لأهل سنغاي، و"سركي" لأهل هوسا. وأكثر اللّوئلاطين علماء وفقهاء، وإذا لم يكن السّ لطان نفسه عالماً فقيهاً اتخذ أحدُ العلماء البارزين راعاً يدير له الدّولة على وفق الشّريعَة ولا بدّ من هيئةٍ شوريّةٍ على شكلٍ لجنةٍ التّقوى من كبار العلماء فقهاء، على ما سنّ الخليفان أبوبكر وعمر رضي الله عنهما من لأنظمة، لذلك تلقّب أكثرهم بأمرير المؤمنين. من تلقّب بأمرير المؤمنين في هذه المنطقة هو محمد أسيكيا الأكبر ثمّ الشّ شيخ عثمان بن ردى وخلفاؤه، وكان له أمراء في الأقاليم على نحو ما للخلفاء من الولاة والحكام والأمرأولكل أميرٍ إقليميه وزيرٌ الدّولتوقائدُ الجنودوالإمام الأكبر للصّلاة، وقاضي القضاة، وكبار العلماء، وكبار الجنود، وعمال الولايات²³.

نظام التّعليم العربي الإسلامي:

م شرفٌ عظيمٌ وبه أظهر الله تعالى فضل آدم عليه السّلام على الملائكة وأمرهم بالسّجود له، وهو يقول ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَقَالَ أُنَبِّئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ...﴾ الآية²⁴ ولأهميته نجد أن "ل ما نزل به القرآن الكريم هو الاهتمام بالعلم وهو قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ...﴾"²⁵. فقد كان التّعليم ولا ال مصدر عزّ الأمم والمجتمعات، أسى سعادتها وتحضّرها وتقديّمها، فبقدر ما تتعلّم الأمم وتهتمّ بتعليم أجيالها الصّاعدة، بقدر ما نافظ على هويّتها ووجودها وبقائتها، والعكس صحيح.. نما أهملت أمّة قط تعليم شبابها، دادهم إعداداً ببناءً أصيلاً، الإطديبت في صميمها، وعاشت ذليلة مهينةً في مؤخر الأمم، وعلى هامش الحضارات²⁶.

ويعتبر الحرف العربيُّ من أكثر معطيات الحضارة الإسلامية إيجابياً في حيز المنفعة لشعوب غرب أفريقيا حيث فتح لهم الطّريق لاستيعاب أساليب جديدة لحضارتهم التّقليدية أثمرت نشاطاً فكرياً باعلاً في كثير من أجزاء غرب أفريقيا في ذلك الوقت، وتعليم الإفريقيين الكتابة العربية انتقل تاريخ غربقيلقرمن مرحلة الرّواية الشّفهية إلى مرحلة التّدوين، كما وجدت اللّغات القومية إلى الحرف العربي الأبجدي الحفيظ على تلك الألسن²⁷.

يليفيد" تاريخ هذه المنطقة أنه لا يُعرف أيّ تعليم سابقاً سوى التّعليم العربي، حيث قامت فيها دارس ومعاهد الدّراسات الإسلامية والعربية في مدن من دول متعدّدة من أهمّها، تمبكتو، بمالي، وكاشنة وبرنو وكنو وزاريا في نيجيريا. قد ارتقى بها التّعليم حتى وصل المستوى الجامعي في العهد ماضي، وصار المتخرّجون منها يون الكتب والرّسائل في مختلف الموضوعات الدّينية والأدبية. وقد

ع الكثير منهم براعة تضعهم في مستوى الكتب العرب دون تفاوتٍ وحسبك أن نذكر على سبيل المثال الشيخ عثمان بن فودي وأخاه عبد الله بن فودي ومحمد بن الشيخ عثمان بن فودي²⁸.

أنماط التعليم الإسلامي في غرب أفريقيا قديماً وحديثاً:

للتعليم العربي الإسلامي أنماط عدة نذكرها من خلال النقاط التالية:²⁹

أولاً: أنماط التعليم الإسلامي في القديم:

تكن أنماط التعليم في ذلك الحين في نمطين **أولاهما:** (الكتاتيب) وهي المدارس القرآنية أطفال والصدّ وهي أول أنماط التعليم وأشهرها، وهي أبسط مؤسسات التعليم، ويلتحق بها العديد من أولاد المسلمين ذكوراً وإناثاً وقد كانت المدرسة داخل المسجد أو داخل منازل خاصة تويّد شرف على المدرسة شخص واحد، وأحياناً يساعده بعض النابهين من الطلاب في عملية التدريس. وفي المدارس الابتدائية كن التركيز على حفظ أجزاء القرآن بالإضافة إلى قليل من القراءة والكتابة. **وثانيهما:** المدارس العليا وهي معاهد علمية للكهول والشيوخ الكبار. يقوم فيها معلمون متخصصون يقومون بتدريس مختلف المواد. وكان للطلاب حرية اختيار المواد، وحرية اختيار العلم وهكذا سبق التعليم الإسلامي النظام الأوربي في التعليم، وتخرّج من المدرسة العليا يحصل الطالب على شهادة تمكنه من العمل كمعلمٍ أو إمامٍ حسب تخصصه. وصاحب المدرسة هو المشرف والإداري الوحيد للمدرسة. للمدارس الرسمية فإنه لا توجد هناك لوائح جامدة تحكم المدرسة إذ أن العلاقة بين المعلم والطالب علاقة أبوية حميمة³⁰.

ثانياً: أنماطه في العصر الحديث:

للتعليم العربي الإسلامي في هذا العصر أنماط عديدة ومن أهمّها:

1- الكتاتيب:

وترتكز الكتاتيب على تعليم المتعلمين مبادئ القراءة والكتابة، بالإضافة إلى حفظ أجزاء من القرآن الكريم. والغالب أن تكون الكتاتيب في المسجد، وقد تكون تحت أحد الأشجار أو في سطوح أحد المباني يتم التعليم فيها بصورة تقليدية والمعلم هو كل شيء في هذه الكتاتيب، ولا يفتقر في الغالب إلى إعداد وتأهيل فيكفي إقانه للقراءة والكتابة وقدرته على تلاوة القرآن الكريم وحفظ أجزاء منه. ويلتحق بها الواعظي سن مبكراً جداً، وفي أحيان كثيرة قبل الالتحاق بالمدرسة، ومنهم من يواصل التعليم حتى يتم حفظ القرآن، ومنهم من يتوقّف ويكمل تعليمه في المدارس النظامية.

وتتشترك المجتمعات الإسلامية الأفريقية الغربية في الاهتمام بتعليم أولادها القرآن الكريم، لكنّها تتفاوت في درجة هذا الاهتمام؛ ففي بعض المجتمعات لا يلتحق الطالب بالمدرسة إلا بعد إتمام حفظ القرآن كاملاً، بينما ينقطع في غيرها عند وصول سن الدراسة.

2- المدارس العربية الإسلامية:

وهي مدارسُ عُنَى بتعليم اللّغة العربية والعلوم الشّرعية، وقد تضيف بعض المقررات اليسيرة، خاصّة في اللّغة الإنجليزيّة الفرنسيّة حسب اللّغة السّائدة في الدّولة. وتنتشر هذه المدارس في معظم دول أفريقيا ذات الأغلبية السّلمة أو التي يمثّل المسلمون فيها أقلّيات.

يُمثّل هذامط من التّعليم أكثر مؤسسات التّعليم انتشاراً وأوسعها تأثيراً في نشر اللّغة العربية والعلم الشّرعي باعتبار تركيزها على هذا الجانب.

ويَتَفَاوَتُ واقع هذه المدارس كما وكيفاً باعتبار عدّة منّها درجة الاعتراف بهذا النوع من التّعليم؛ ففي نيجيريا - على سبيل المثال - بث تعترف الجامعات بالعديد من هذه المدارس فإنّها تتمتّع بأقوايختلف عن الدّول الأخرى التي لا تعترف بهذا النوع من التّعليم، ولا يَتَاح لخريجيه فرصة المواصلة في الجامعات.

3- المدارس المزبوجة:

نشأ هذا النمط من التّعليم علاجاً لما يعانيه خريجو المدارس العربية والإسلامية من صعوبة اصلة الدّراسة في الجامعات، ولعدم اعتراف كثيرٍ من مؤسسات القطاع العام والخاص بشهادات هذه المدارس.

وتقوم هذه المدارس على تدريس المتعلّم المناهج التي يدرسها طلاب المدارس العامّة، وتضيف لتلك المقررات اللّغة العربية والعلوم الشّرعية. تمتاز بأنّها تتيح لخريجها الفرص نفسها التي تتاح ريجي المدارس العامّة كلّها، تواجه صعوبات عدّة أهمّها التّمويل فتكاليفها أضعاف المدارس الإسلامي كما أنّ الجفيتها بين نظامي التّعليم يضيف عبئاً زائداً على المتعلّمين، وكثيراً ما يؤثّر على تحصيله في التّعليم النظامي أو في التّعليم الشّرعي.

4- المدارس الجزئية:

وتقوم هذه المدارس على أساس تقديم تعليم مواد للمدارس العامّة، ولها تطبيقات عدّة:

أ- **الطرس الصّباحية:** تستفيد هذه المدارس من تأخّر بداية اليوم الدّراسي للمدارس العامّة، فيقولد روس العربية والشّرعية في أوّل اليوم الدّراسي قبل بداية دوام المدارس العامّة، ثمّ يواصل المتعلّمون بالمدارس العامّة.

ب- **المدارس المسائية:** وتنتشر هذه المدارس في الدّول التي يتقدّم فيها اليوم الدّراسي؛ فتقوم بتدريس العلوم العربيّة والشّرعية في الفترة المسائية لطلابها الذين يلتحقون في الفترة الصّباحية بالمدارس يعاني الطّالمن أنّّه يكون منهكاً متعباً، كما يقول أحد المعلّمين: لطّالب يأتي متعباً ومصاباً بالمن المدرسة الحكومية فكيف نصدّ نَع لترغيبه في العلم الشّرعي؟.

ج- مدارس نهاية الأسبوع: تقوم هذه المدارس على اغتنام إجازة نهاية الأسبوع والتي تكون يومي ت والأحد في معظم الدول الأفريقية، فتقدم المدرسة يوماً دراسياً كاملاً يوم السبت ونصف يوم الأحد بالإضافة إلى الإفادة من إجازات نهاية العام الدراسي أو منتصفه.

5-التعليم الجامعي:

جربة التعليم الإسلامي والعربي في غرب أفريقيا في العصر الحديث في التعليم الجامعي محدودة ئية، لكنها تمثل إنجازاً يستحق الوقوف عنده.

ومن أبرز مؤسسات التعليم الجامعي في المنطقة (الجامعة الإسلامية) الذيجر، وتضم عدداً من الكليات العلمية والأدبية. ومنها (جامعة الملك فيصل) في تشاد³¹، وكذلك (جامعة الحكمة) بمدينة إورن، نيجيريا، التي افتتحت بكلية التربية والشريعة الإسلامية بجهود جبارة مع إخلص القائمين بالجامعة بعنوفيق الله تعالى منحت الحكومة النيجيرية الفدرالية الجامعة زخيصةً لربحيات الجامعات العالمية وهي تؤدي دوراً مهماً في المجتمع، ثم بدلت برامجها وأنشئت فيها كلية العلوم الإنسانية، وكلية علوم الحاسوب، وكلية العلوم التطبيقية. ومنها (الجامعة الإسلامية) التابعة بولاية كاتشنا في نيجيريا، كما توجد (كلية الإمام مالك الجامعية) بمدينة إيدان بنيجيريا التي تركز على قبول الطلاب من أنحاء غرب أفريقيا. بل توجد محاولات عديدة وجهود مكثفة من الجمعيات الإسلامية الخيرية والأثرياء الفاهمين لدينهم الحنيفي الدولة نفسها لإنشاء جامعات إسلامية أخرى وتجدر الإشادة للدور الفعال الذي تؤديه هذه الجامعات الإسلامية في المنطقة لمساهمتها في التنمية الاجتماعية ولبشرية وتناسب برامجها مع متطلبات المجتمع. كعنايتها بالعلوم الإنسانية والعلوم التكنولوجية والتطبيقية ونحوها. تتميز هذه الجامعات مذكورة بميزات لا تتمتع بها بقية جامعاتنا في غرب أفريقيا من وضوح الهدف المبني على عقيدة إسلامية صالحة واتجاهات سالمة والتواصل والتداخل النافع لأهل المجتمع كله واهتماماتها بالعلوم الحديثة. وكلها تسعى إلى تحقيق خيري الدنيا والآخرة للمجتمع.

وأما المدارس العربية الإسلامية في المنطقة عموماً فهي تعاني من مشكلات عديدة، جمعها البروفيسور يوسف الخليفة أبو بكر عند حديثه³² عن مشروع تطوير التعليم الإسلامي في أفريقيا في عديدة وهي إهمال كثير من الدول لها. وضعف إمكاناتها المادية " المتمثلة في المباني والأدوات والمرتببات" وافتقارها إلى المنهج التربوي للمعلم المدرس، الكتاب المناسب، الوسائل التعليمية الحديثة. وكذلك عدم الاعتراف بها وبشهاداتها في الداخل والخارج، وعدم مساواة خريجها برصفتهم خريجي المدارس عند التوظيف، واضطرارهم للعمل في أعمال هامشية وعند محاولة الالتحاق خريجها جامعات إسلامية يعجز الكثيرون منهم عن مواصلة دراساتهم ويقضي بعضهم عدداً من السنين في

مة تمهيدية قبل الجامعة والعدد القليل الذي يكمل الجامعة ويتخرج منها يعود إلى بلده ليجد الطريق دوداً. مه فيعمل أعمالاً لا تتساوى مع مؤهلاته الجامعية وفي درجة أقل بكثير من رصيفه خريج الجامعات الغربية أو الشرقية ومنها أن هذه المدارس مضروب عليها حصار من التعليم العلماني. وكذلك ضعف تأثيرها في المجتمع، وضعف تأثير خريجها في مجريات الأمور في بلادهم. كما تعاني من التيارات العلمانية المحلية والوافدة التي تحاول القضاء عليها. فقد أشار البروفيسور أحمد شيخ عبد اللام عند قيامه بتقويم عينات لمناهج التعليم العربي الإسلامي في أفريقيا إلى أن معظم هذه المناهج لا تُحدد الأهداف أو تنص عليها وبخاصة هدف تكوين الإنسان المسلم الكامل الذموء في كافة أوجه حياته³³. ومنها استخدام المسئولين في هذه المدارس مناهج مستوردة من الدول العربية، فيجد الطالب وبة في فهم بعض محتويات المناهج التي لا تعبر عن بيئته، وأحياناً تتحدث بعض الكتب المدرسية عن نباتات وأشجاريوانات لا توجد في المنطقة، إذاً كيف يدرك هذا الطالب معناها؟ ويشد الأمر إن كان الطالب مبتدئاً. والمفروض في رأي هو عدم استيراد هذه المناهج وتكون المساعدة في هذا الإطار في تأسيس (اتحاد علماء المناهج المسلمين) بالمنطقة بحيث يكون هدفهم في المقام الأول هو بناء تصميم وتطوير مناهج المدارس العربية على الأسس الإسلامية الغربية، بنية على العقيدة الصحيحة مع مطابقتها لبيئتنا بغرب أفريقيا وتتناسب مع متطلبات العصر. إضافة إلى صميم الوسائل التعليمية المناسبة لها، إصدار الكتب المدرسية الخاصة بالمنطقة وإنشاء المطابع العربية الخاصة بذلك. ويمكن أن يساعدهم فيها بعض خبراء المناهج من العرب الذين لديهم معارف وخبرات سابقة عن المنطقة.

وتجدر الإشارة إلى خطورة المناهج الغربية المستوردة إلى المجتمع، أو ثقافتها التي تنبذها الدول في المنطقة من الثقافات الغربية الهابطة. حيث يرد أحياناً خلال دراسة الطالب لمثل هذه المناهج أن يجد في الكتاب المدرسي شخصيات فونه بالبطل في الدرس ليقتردي به الطالب، وقد يكون ممماً يقوم به شرب الخمر أو الزنا والعياذ بالله. أو قد يجد صور النساء العاريات، وهذا لا يتناسب مع ثقافته التي تث على العفاف والقيم الاجتماعية.

أما التعليم الإسلامي قديماً فقد ظلهم ويتطور من القرن السابع الهجري حتى - أواخر القرن الثالث عشرم. أ يتقلص بسبب الاستعمار الذي حارب الفكر الإسلامي واللغة العربية، وعمل على نشر الثقافة الأوروبية واللغة الإنجليزية والفرنسية بالبلاد فأخذت اللغة الإنجليزية تحل محل اللغة العربية. د أن مه للإجليز لتعلمها السبل والأساليب ورفعوا شأن من عرفها وجعلوها لغة رسمية للبلاد³⁴، كالحالة نفسها في الدول التي استعمرتها فرنسا.

ثانياً: الثقافة الغربية وأنظمتها التعليمية:

عرف الإنكليز هذه البلاد عام 1558م على أثر مغامراتهم السباحية في شواطئ أفريقيا، وبدأوا في لفة مع أهلها، وكانت الذخاسة أهم سلعهم التجارية، ولما ألغيت في أوروبا عام 1807م تحولت إلى

غلات البلاد وحاصلاتها، لقاء ما يأتون به من منسوجات صنوعات وأدوات زراعية وغيرها، ولمّا
تحت أعينهم على خيرات البلاد صاروا يتكالبون عليها حتّى اضطروا إلى عقد مؤتمر في برلين عام
1884م ليضع حداً للتّنافس الدّولي على شواطئ أفريقيا، فسارعت لّل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا إلى
يرضع يدها على الأرض التي احتلّوا إلى عقد اتفاقيات مع ملوك تلك البلاد على إبرام الصّدّاقّة
التّجارية بين الطّرفين. مع تجارة الرّقّيق وتحريمها بتاتاً، وكذلك إطلاق حرية التّبشير المسيحي في
ول البلاد وعرضها، وإيقاف الحروب بين القبائل وتأمين طرق المواصلات.

ولم يكتفوا بهذه الاتفاقيات بل صاروا يطمحون إلى ما وراءها في شئون الحكم وإدارة البلاد
استعمارها واستغلالها بالتّدرّج. الملوك والأمراء بانفلات الزّمام من أيديهم هزّوا رؤوسهم
امتتاعاً، فقامت بين الطّرفين مناوشات طويلة انتهت بسقوط الضّعيف تحت أقدام القوى، فسقطت
لّوضى أوّل ما سقطت تحت إقدام الإنكليز عام 1862م³⁵.

تغلّظوا داخل البلاد وفعّلوا بأهلها ما فعلوا بأهل لاغوس، فتمّ لهم الاستيلاء عليها ورفع
رايتهم فوقها، وأطلقوا على بعضها المحمية الشمالية، وعلى البعض الآخر المحمية الجنوبية. ولقد أبت
الإمارات الشمالية، وعلى ما حفيد ابن فودي المسمّى السّلدطان الطّاهر، أن تستسلم للإنكليز بل
قاومتهم مدة قبل أن تهزم عام 1903م. رجّ السّلدطان مهاجراً وتبعه خلق كثير، فاقتفى الحاكم الإنكليزي
أثره، وأدركه في بلاد غمبي، وقامت بينهما معركة شديدة واستشهد فيها السّلدطان والوجهاء والأعيان، ولم
يح منهم إلا محمّد بللو الملقب ب(ما يرنو) د بن الأمير، وطائفة من العلماء فتأخّر الأوّل قرب
بنة سنار في السّلدان الشرقي واختط بها مدينة عرفت بلقبه (ما يرنو) ولازمها حتّى توفي عام 1640م
ر الباقر مكرّم إلى أن توفّيوا هناك رحم الله الجميع³⁶.

من ناحية نفيها فقد بدأت فرنسا في استعمار غرب أفريقيا بالتّجارة كما بدأ الإنكليز، ثمّ
المعاهدات الودية مع الملوك والنّزعماء ولما انكشف سرهم للزّعماء المسلمين في الاستعمار قاوموهم
أومة شديدة أذهلتهم طويلاً ولم يتمكنوا من التّغلب عليهم إلا بشراء الضّمائر وسياسة التّفريق والزلّ
المختلفين.

اتّخذت فرنسا مدينة دكار قاعدة لحكومتها في غرب إفريقيا، ومنها بدأ الاستعمار، ثمّ نشطت
إلى احتلال السّلدان عام 1817م. وحاربت الفولانيين والموريتانيين سنين طويلة. لما تعيّن الجنرال
(فدهرب) حاكماً على السّلدان، وكان داهية كبيرة عمل على توسع حكومته فيما حولها، وصادف وقت
يام الحاج عمر الفتوي بالجهاد الإسلامي، وتأسيسه لدولة إسلامية في التّور وماسينا وتمبكتو، فقام بين
الحاج عمر وقدهرب قتال عنيف، ونضال طويل، انتصر في مواقعها الحاج عمر مراراً غير أنّه وافاه
الأجل عام 1862م³⁷.

بالأمر بعده ابنه أحمد الذي ألق الجنود الفرنسيين وأوقف مصالحهم طويلاً حتّى اضطرّوا

لى التّهادن معه، كما تهولنمع زعماء المقاطعات الّذين قبلوا حماية فرنسا واحداً بعد احد فتمّ استيلاؤهم على السّد نغال نهائياً 1893م. فهاجر أحمد بن عمر إلى شمال نيجيريا فمات بها³⁸.

ومهما تنس فرنسا لا تنسى ما لقيته من سامورى وكراموغو ومحمد الأمين في غرب أفريقيا. ولمّا تمّ استيلاء الفرنج على غرب إفريقيا، تداقت أمواج الإرساليات: بشيرية بالتّتابع من إنجلترا وفرنسا في شكل جمعيات مختلفة لبناء المدارس، وبنائس والمستشفيات في المدن والأرياف، ثمّ حرّ ر العبيد السّدود من أورها وتأسّست في سيراليون مدينة سميت بـ(فريتاون) عام 1772م بادر المبشّرون إلى إنشاء كلية فورابي لتخريج الأساقفة من هؤلاء العبيد المتحرّرين ليرسلوهم إلى تلك المستعمرات الجديدة مبشرين.

ونزلت الدّفعة الأولى من موجات التّبشير المسيحي إلى نيجيريا عام 1841م. ومن بينهم (صمويل أجايليكويثور) من المتحرّرين، وتخرّج مع المبشّرين ثمّ أرسل إلى نيجيريا مع المرسلين³⁹. عمل بجدٍ ونشاطٍ لوضع الأحجار الأساسيّة لبشير الصّد لبيي بالتّعاون مع الاستعمار، ووضع الحروف اللاتينية لكتابة لغة يوربا لترجمة الإنجيل بدل الكتابة العربية الّتي كان المسلمون يكتبون بها لغة يوربا⁴⁰ هناك أوّل مدرسة تبشيرية في لاغوس بنيجيريا هي المدرسة الكاثوليكيّة ومانيّة 1844م. مدرسة الجمعيات الإرساليات الكنسية عام 1859م ثمّ مدرسة البنات للجمعية المذكورة عام 1868م. مدرسة حكومية غير تبشيرية بنيت عام 1882م. لى أن الاستعمار كان يعمل جنباً إلى جنب مع التّبشير، لاهما يلهدّ بيل للآخر، ويضع كلّ إمكانياته تحت تصرّف زميله، بل يخدم التّبشير الاستعمار أحياناً أكثر مما يخدم صليبه، كأن يختار الاستعمار كبار موظّيه من كبار الأساقفة والمطارنة، فلا يستطيع المسلم أن يفرق بين الموظفين الحكوميين، وبين الأساقفة المبشّرين⁴¹.

ولقد علمت أن الحضارة العربية الإسلاميّة هي الّتي تمكّنت في جميع الأجزاء الشّمالية في غرب أفريقيا قبل دخول الإفونج، أما الأجزاء الجنوبيّة القريبة من شواطئ المحيط الّتي يقل بها العمران في القرون الوسطى، فهي الجهات الّتي لم يكن فيها الإسلام قوياً، كسواحل العاج والذّهب (ساح العاج وغانا حالياً) لدّهومي ونيجيريا الجنوبيّة، ولقد كان التّعليم العربي منتشراً في جميع البلاد الّتي استوى فيها لمستوى الاستقرار والذّوج، وكانت الثّقافة الإسلاميّة برّاقة في جميع البلاد الّتي تحكّم بالشّريعة الإسلاميّة. بل كانت الحضارة العربية قائمة في جميع البلاد الّتي قامت فيها الحكومة الإسلاميّة.

ولمّا جاء المستعمرون والمبشرون غاظهم كلّ الغيظ أن يلتقوا بالإسلام في غرب أفريقيا ليس نيئاً فلمّكي الذّفوس فحسب، ولكنّه قوة حاكمة، ودولة قائمة، فلبسوا للمسلمين جلود الذّم، وصلّوا عليهم، وف المكر، لا يرغبون فيهم إلاّ ولا نمّة، بل شمّ روا عن ساعدهم في سبيل القضاء على آثار الإسلام بكلّ جائزٍ ومسبلٍ، حتّى ضربوا الثّقافة العربية بثقافتهم الإفونجية، وهدموا بنيان علماء الإسلام ليه قساوسة الصّد ليب، وبدلوا الشّريعة بالقانون، وطاردوا الفقهاء من الدّواوين، وأحلّوا محلّهم

المحلمين، وأغروا طلاب اللّغة العربية بطلاب اللّغة الانجليزية والفرنسية، حيث تغلغلوا في القرى لأرياف، واقتنصوا أبناء الفلاحين وأغروهم بالأموال والأعراض، وأرسلوا من آمن بالصدّ لليب منهم إلى أوربا، ليكملوا بها علومهم وليرجعوا إلى بلادهم زعماء معتبرين لدى الخاص والعام، فاغتر طائفة من أبناء المسلمين بتلك المظاهر فتصدّ روا، فبقي المتمسكون بدينهم خارج الحظيرة ضعفاء مساكين متروكين في زاويا الإهمال يعيشون على هامش الحياة، ويأكلون من فتات الموائد، فلا جرم أن يحارب لاستعمار التّعليم العربي بالتّعليم الإفرنجي بغية تحويل المسلمين عن دينهم، أو تسميم مناهج التّعليم العربي بالتّعليم الإفرنجي نفسه عليهم حتّى يصير المسلمون أنفسهم حرباً على الإسلام وثقافته، لترسخ أقدام المستعمرين في بلاد الإسلام، ولتشديد النّصرانية على أنقاض الإسلام. نّ نزع لغة القرآن وتعاليم الإسلام من قلوب مسلمي غرب أفريقيا خطة مدبّرة، وحيلة منظمة، من الإنكليز وفرنسا على السّواء. ما لنا يعمل المسلمون واللّغة الإنكليزية أو الفرنسية أصبحت ضرورية؟ ومن صور تدبيرهم لنزع القرآن ما قال (لورد كرومر) وزير خارجية بريطانيا، في برلمانهم بمطلع القرن العشرين قولته المشهورة: " قدّم الإمبراطورية الإنكليزية لن ترسخ في البلاد الإسلامية ما دام هذا القرآن بيد المسلمين"⁴².

لذلك فّ الذين تلقوا الإنكليزية أو الفرنسية في المدارس التّصيرية الصّ لميية بغربي أفريقيا، ظلّوا على دينهم الإسلامي قلة. وكلّ منهم كالقابض على جمرة نار⁴³.

بقي المسلمون في نيجيريا الإنكليزية محتارين في حالتهم هذه إلى أن جاء رجل من سيراليون اسمه (الدكتور ويلمت بلين) كان مستشرقاً كبيراً، كما كان مدبراً لمصلحة المعارف في سيراليون وسبق أن رس مثل هذه المشكلة مع المسلمين في سيراليون، فأكسبته خبرته لمعرفة طريقة حلّ هذه المشكلة في نيجيريا حسب طريقة حلّها في سيراليون. فطلب من الحكومة البريطانية عام 1895م إنشاء مدرسة يومية خاصّة يتعلّم فيها أبناء المسلمين المعارف الإنكليزية إلى جانب ديانتهم الإسلامية، فوافقت الحكومة على هذا الطّلب، فأنشأت المدرسة في لاغوس عام 1897م، فانفتح الباب الحر أمام أبناء المسلمين ليتعلّموا.

ولمّا تأسست المدرسة الإسلامية الحكومية وتحسنت بها أحوال المسلمين الثّقافية، احتجّ المبشرون على أن المدارس الحكومية من شأنها أن تتجرّد عن الشّارات الدّينية، فألغيت كلمة (الإسلامية) من اسم المدرسة، وبقيت حكومية، واختير ناظرها مدرسوها من غير المسلمين. فاستيقظ المسلمون على هذه المؤامرات، وعملوا على إنشاء الجمعيات التي تهتمّ بفتح المدارس الإسلامية، فتأسست جمعية أنصار الإسلام 1923م ثمّ الزّ مرة الإسلامية 1926م ثمّ جمعية نور الدين 1934م ثمّ جمعية أنصار الإسلام 1945م. فملأوا المدن والقرى بالمدارس الإسلامية، التي جعلت همّتها تليح أبناء المسلمين بالثقافة الإنكليزية التي أصبحت ضرورة لأبناء البلاطع الإمام بمبادئ الدّين، والتّاريخ الإسلامي، وقد أعدت هذه المدارس الطبقة المتّوّفة من أبناء المسلمين لذين يشاركون أفرانهم المسيحيين في مختلف الميادين اليوم⁴⁴.

أنماط التعليم الغربي في غرب أفريقيا:

فقد بدأ التعليم الإنجليزي ظهوره بنيجيريا مثلاً سنة (1841م) كما أشرنا إليه آنفاً على أيدي البشرين المنصرين لغرس العقيدة النصرانية في نفوس الأطفال وكان المبشرون بداية أمرهم يجمعون أطفال القرى باستعمال آلات اللّهُو واللّعب ويوزعون الحلوى والأكسية عليهم، وكما كانوا يستعملون الكتب المصوّرة ذات الألوان الزاهية بهدف جذب الأطفال إلى هذه المدرسة، وكان اتجاه المبشرين مركزاً على شرق نيجيريا وغيرها....⁴⁵ حيث كان نصيب الشّمال في التّعليم ضئيلاً جداً .

وفيما يتّصل بالتّعليم العاقلينّ أوّل مدرسة عالية في نيجيريا هي كلية يابا الحكومية وقد أنشأت سنة (1934م) وأدّى ورّاً كبيراً قبل إنشاء الجامعات، وكانت أولى جامعات في نيجيريا أنشئت في مدينة إبادن تسمى جامعة إبادن (UNIVERSITY OF IBADAN) في الإقليم الغربي سنة (1938م)⁴⁶، كما تمّ قبل هذه الجامعة إنشاء كلية جامعية لتصيرية بسيراليون، وهي جامعة فورابي ((Forahbay College University of Sierra Leone)) التي أشرنا إليها سابقاً، عام 1827م⁴⁷.

ولعدم اهتمام الاستعمار بنشر التّقافة والتّعليم بالشّمال حينذاك، حينما اتجه بكلّ جهده إلى الشّرق والغرب، ومن أجل هذا تاليقظة والغيرة في نفوس أهل الشّمال فأعادوا للتّقافة العربية نهضتها من جديد كما فتحوا بها المدارس المختلفة ليلحقوا أبناءهم بركب التّقافة المدنية وهكذا أنشأ أمراء المسلمين بالشّمال مدرسة العلوم العربية في كنو (KANO) سنة 1934، كما أنشأوا مراكز التعليم العربي الإسلامي في أبي أكوتة (ABEOKUTA) ومنها المركز الإسلامي للشيخ المرحوم آدم عبد الله الأوربي في أغيجي AGEGE (سنة 1959م). واتجه كذلك أبناء المسلمين بالإقليم الغربي لإحياء التّقافة العربية والإسلامية فأنشأوا عدداً من المدارس هذا الغرض واتجه أبناء الشّمال والغرب إلى إرسال المبعوثين إلى ر، والسودان وإلى البلاد العربية ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم⁴⁸.

ن في الوقت الحاضر في أغلبية دول غرب أفريقيا فإنّ أنماط التّعليم من حيث المراحل تكمن في المدارس الابتدائية والثّانوية والمعاهد العليا والجامعات.

آثار الأنظمة الوافدة على مجتمع غرب إفريقيا:

وما من نظام تعليمي إلا وله جملة من الأهداف والغايات التي يسعى إلى تحقيقها من خلال العملية التّعليمية. وتتبنّق الأهداف في أغلب الأحيان عن المرجعية، التي تشكل القاعدة المنتجة الموجهة للأهداف، الأمر الذي يعني وجود علاقة جدلية ترابطية بين المرجعية والأهداف، فإذا كانت مرجعية نظام ما مادية، فإن أهدافه تغدو هي الأخرى - في أغلب الأحيان - ادية، وإذا كانت مرجعيته روحية، فإن ذلك سينعكس على الأهداف، وكذلك الحال فيما لو كانت مرجعيته مادية روحية، فإن

هدافها ستصبح أهدافاً مادية روحية مترابطة⁴⁹.

وتوجد في عصرنا هذا نظم تعليمية عديدة ومنها الأنظمة التعليمية الغربية، وهي الأنظمة التي تسود أوروبا الغربية (النظام التعليمي الفرنسي، والنظام التعليمي الإنجليزي، والنظام التعليمي البرتغالي، والنظام التعليمي الإيطالي). والأنظمة التعليمية الشرقية، وتشمل الأنظمة التعليمية التي كانت تسود أوروبا الشرقية (نظام تعليمي شيوعي، سوفياتي سابقاً). كذلك الأنظمة التعليمية العربية الإسلامية التي نبعت من الجزيرة العربية. وسأركز ديثي على الأنظمة التعليمية الغربية والأنظمة التعليمية العربية الإسلامية لعلاقة تأثيرهما المباشر على مجتمع غرب أفريقيا.

وهدف الأنظمة التعليمية الغربية هي تربية الذرة الفردية، وهو اعتبار إنتاج فرد مادي (مواطن صالح) سمي غاية وأعلى هدف يرجى ويُدّعى من العملية التعليمية، إذ ترى تلك الأنظمة أن زرع الذرة الفردية هو الوسيلة العليا لإنتاج فرد حريص على مصالحه الخاصة، وجاداً في تحقيق رغباته سهواته المختلفة بشتى الطرق والوسائل، ولذلك فإن الفرد في هذه المجتمعات لا يرى لنفسه قيمة ولا زناً إذا عجز عن تلبية رغباته الآتية والمستقبلية. وبما أن تحقيق ملكية فردية يتوقف على تمتع الفرد برغبة جامحة في العمل والجدية، والنشاط المضاعف، لذلك يجد المرء مبدأ العمل في هذه المجتمعات دأ أساسياً ومهماً للبقاء، وأضف إلى ذلك أن العمل أيّاً كان نوعه في هذه المجتمعات، مندس ومقبول وصحيح، مادام يحقق للفرد حياة مال، فليس في هذه المجتمعات عمل دنيء أو وضعيع أو شريف، فشرف العمل وناءته مرتبط بنتاجه، فالعمل الذي يترتب عليه جني نتائج جمة هو العمل الشريف العظيم، وأما العمل الذي يترتب عليه جني نتائج ضئيلة هو العمل الوضعيلاني. وأياً ما كان الأمر، فإن الأنظمة التعليمية تُصمّم في هذه المجتمعات هادفة إلى تحقيق هذا المبدأ، مستندة إلى وحي رجعية العلمانية، التي تقصي المبادئ والقيم الإلهية عن دائرة التدبير والإرشاد، وتوكل إلى العقل الوثقّ البشريين مهمّة تحديد المبادئ والقيم التي ينبغي اعتمادها والرجوع إليها. والهدف الأنظمة التعليمية الشرقية: فهي تربية الذرة الجماعية، وإنتاج مجتمع مادي، والفكرة الشيوعية التي تعتق المادية الجدلية قد نشأت كردة فعل على الفكرة الرأسمالية، التي تتبنى العلمانية القائمة على تأليه الملكية الفردية، والدفاع عنها، إذاً فإن الهدف الأسمى والغاية العليا من الأنظمة التعليمية الشرقية هو تربية الذرة الجماعية لإنتاج مجتمع مادي جماعي. ويتحقق هذا الهدف بمصادرة الملكية الفردية التي هي صدر كل الشرور والأهوال، والفواجع والكوارث. هذه الأنظمة تفسر المبادئ والقيم في المجتمعات أنها مخلفات القيم البائد، ولذلك فلا اعتبار لأية قيمة تقف حاجزاً أمام تحقيق هدف إيجاد مجتمع مادي جماعي. إن كان لا بد من الاعتداد بقيمة، فلنكن تلك القيمة قيمة تقود إلى انتصار فكرة المادية

الجدلية القائمة على مصادرة جميع نوازع الملكية الفردية، في سائر أشكالها ووسائلها. بناءً على هذا المنطلق للّي يقوم على القضاء على جميع صور الملكية الفردية، فإنّ هذه الأنظمة استطاعت أن تنتج معاً ما ماديّاً ينتعش فيه الكسل والبطالة والبطلة، وما ذلك إلاّ لأنّ الفكرة في حدّ ذاتها تتعارض مع الفطرة الإنسانية، وتقتل في الأفراد روح المبادرة والإبداع والابتكار، إذ أنّ ناتج عمل العامل، وثمار كدّ الكادح ليست له، ولا حقله فيها على الإطلاق، وإذّ ما لجميع أفراد المجتمع، للعامل منهم وللكسول، : أئمّ وللصاحي، وهكذا دواليك.

وعلى العموم فإنّه يمكن القول بأنّ أهداف الأنظمة التعليمية السائدة، الغربية والشرقية أهداف مادية بحتة، حيث تسعى الأنظمة التّعليمية الغربية إلى إنتاج فرد مادي، كن الأنظمة التّعليمية الشرقيّة فتسعى إلى إنتاج مجتمع مادي، وكلاهما خاليان من الجانب الرّوحي السّامي وأمّا الأنظمة العربية الإسلاميّة فيّز على غيرها من حيث أنّ سعيها هو إنتاج الفرد الصّالح الذي ينطلق من توجيهات الوحي، ويتعامل بفعالية مع الواقع المتعلّ، ويسعى إلى تحقيق رفاهية شاملة لكلّ فردٍ من أفراد المجتمع، حقيقةً لرسالته الكبرى المتعلّة في إنقاذ البشرية جمعاء من براثن الشرّ والهلاك..⁵⁰

فكُن الاختلاف بين أهداف هذه الأنظمة يكاد ينحصر في دائرة نقطة البدء والتّركيز، إذ أنّها تتقاسم الاتفاق على الاهتمام بالجانب المادي، والتركيز عليه، فإنتاج الفرد المادي أو إنتاج الجماعة المادية وبناءً عليه، فليست ثمة غرابة في أن ينعدم الإحساس والمشاعر الإنسانية في حياة الأفراد والمجتمعات التي أنتجتها هذه الأنظمة، وأن تغدو المبادئ والقيم المعنوية قضايا نسبية لا قرار لها، ولا دور لها.

نلّا أهداف الأنظمة غير الإسلاميّة هذه على اختلاف درجاتها، غريبة على الحياة في المنطقة، إفدة عليها، وذلك لأنّها أهداف تشكّلت من خلال ظروف وأوضاع لا تعرفها المنطقة، ولا تربطها بها أية رابطة، بل هي أهداف تمّت صياغتها بعيداً عن الواقع الإفريقي الغربي، وظروف الحياة في المنطقة وبالتالي عندما استوردت إليها وطبّقت في بعض أرجائها، جلبت لتلك الأرجاء صنوف المآسي والفظائع والفواجع والكوارث، لم تعرف المنطقة حتى هذه الأحظّة سبيلاً للخروج منها. فههدف إنتاج الفرد المادي -على سبيل المثال- أورث غرب إفريقيا أمراض الأنانية البغيضة، والرّشوة والحقْد والحسد، والفساد السّيّاسي والإداري، والانحلال الخلقي، وغيره لمن خصال وأدواء التّخلف والتّأخر، والتّقهقر، وغدت الانقلابات يلعسللكبريّة وغير المبرّرة أساساً ومبدأً لا ينازع في مشروعيتها، طمعاً ما في الاستئثار بثروات الأمم وخيراتها، والانفراد بها دون الآخرين، مما زاد المنطقة ما وتوسّعاً، واستمراءً لحياة التّأخر والتّقهقر والهامشية. لئن استطاعت الأنظمة التّعليمية الغربية إنتاج الفرد المادي ذي

نَّبة الفردية، وخلت مجتمعات تلك الأنظمة من فشو أدواء التَّلف وخصاله، فإنَّ مردَّ ذلك إلى وجود
لمة من السياج القانوني والاجتماعي والنَّفسي والعقلي، والتّي ظلَّ ولا يزال عامل ترشيد وتهذيب لتلك
النَّزعة الفردية بحيث إذا ما حاولت الحياد والانحراف بالفرد عن المسار المرسوم، كان ذلك السِّياج
المصدِّدًا لا عوجاج النَّزعة.

ولما تبنت دول غرب إفريقيا هذه الأنظمة الغربية وهلت. بتحقيق هذا المبدأ، لم يكن ثمَّ سياج
قانوني يذو على حماية مصالح عامة. النَّلس، الأمر التّي ترتبَّ عليه أن غدت تربية تلك النَّزعة في
شخصية الإنسان الإفريقي الغربي عامل هدم وتدميرٍ على سائر المستويات، ويكفيها أن تكون هي
السبب في انتشار أمراض التَّخلف والتَّدهور من (الأنانية، والحقْد، والكرهية، والبغضاء والرَّشوة،
لذَّج، والفساد السِّياسي والإداري...).

ليتَّضح الأو أكثر فإنَّني أضرب لكم بعض أمثلة من الواقع في مجتمعنا بغرب أفريقيا عسى أن
كّر أو نتدبّر بسبعجاءٍ لإنقاذ هذه المنطقة من ويلات الآثار السِّبئة من الأنظمة التَّعليمية الغربية
الفاصلة.

لَّا الفساد الإداري والسِّياسي:

ويدخل في الفساد الإداري ظاهرة اختلاس أموال الدَّول وهمجرَّ د تعيين بعضهم وزراء أو مديري
بعض إدارات الدَّولة تجدهم أغنياء بعد مدَّة وجيزة، وتجد حساباتهم في البنوك مليئة، وبينون مباني
عديدة ويجمعون في ساحات بيوتهم سيارات مختلفة وأنَّ بيوتهم نارض للسِّيارات، ولا يخاف بعضهم
، يُوخروا دفع رواتب الموظَّفين تحتهم، إذ يعرف بعضهم كيف يضعون رواتبهم في حساباتهم -
بعد استلامها من الحكومة -؛ معيَّنة يتمَّ سحبها وصرفها على الموظَّفين علماً أنَّ الأرباح الزَّائدة
تحتسب مع حساباتهم، وليس هنالك متابعة ومراقبة جادَّة تردع هؤلاء من هذا. بل ويمكن أن تجد بعضهم
يستقرضون من بعض البنوك أموالاً طائلة ليسدِّدوها حيناً بعد حين، وبدلاً من تسديد هذه القروض،
سلون بالمستولين أو بعض موظَّفين في هذه البنوك لتُسحب منها ملفَّاتهم بمقابل نسبة مئوية من
المبالغ. وُحرق بعضهم المكاتب التّي دعت فيها هذه الملفَّات!!!.

قلَّتجدل المقاولين موفين بالعقود، فالَّذي تسمعه فقط هو منح مقاولٍ معيَّن عقداً لتشييد طرقٍ
أو بناء دوائر حكومية أو عمل في البلد وما أشبه ذلك، بملايين... فهو لا يعمل شيئاً بل وقدتُ فاجاً
بمغادرته البلاد هارباً إلى الغرب للاستثمار هناك بما استلمه من الأموال. رقد قال الله تعالى: (لها

وأما الرّشاشون في الدوائر الحكومية فقد أصبحت عادةً في المنطقة، والغريب في نظرهم هو من يرضى قبول الرّشاشون، يعتبرون شاذاً وأنّه لا يدرك قيمة العملات أو غيبى لا عقل له. وفي أوساط الشرطة بمختلف أنواعهم: هجرة الجمارك، والجوازات وشرطة المرور والجيش معظمهم يتراشون ويأخذ بعضهم مبالغاً من سائقي سيارات في الطرقات من المواطنين الضعفاء بمقابل إطلاق سراح هؤلاء السائقي للمرور في الشارع، كما اتخبط القضاء هذه القناصة (الرشاشون) الرزق لهم. وبهذا يسلبون الضعيف للقوي.

لمعلوم أنّ القليل من التربويين والتعليمية أمانة في أعناق المسؤولين التربويين وكلّ المعنيين بالأمر وذلك لضمان مستقبل مشرق للبلاد، أن الواقع غير ذلك إذ أنّ تخطيط المناهج الدراسية في كثير من دول المنطقة تبنى على أسس فكرية غريبة بل مستوردة منها، وهي ملابس جاهزة قد عدلت لغيرنا على حسب أحجامهم لها تلبس لمجتمعنا من للأسف الشديد وتكون المخرجات أسوأ نتيجة للمدخلات سلا يتعمّن زرع الشوك لا يحصد عنباً.

ومن قبيل ذلك عدم اهتمام معظم الموظفين بالعمل من بينهم بعض المعلمين والأساتذة في المدارس والجامعات، ويعمل بعضهم على هواه كأنّ الالتزام بأنظمة العمل ليس بضروري، ويحضر العمل إن شاء ويغيب إن شاء، بل يقول بعضهم في بعض لغات المنطقة (Ise Ijoba kese ise ase ku) معللاًها العمل الحكومي لا ينفذ لأجله" ويستخدمونكم المقولة لمّا يريدون زرع التكاثر في نفس العامل الحكومي المجدد في عمله، أو عدم الاهتمام بالعمل خلال العمل عند الحكومة ناسين أنّ هذه الأعمال ليست للحكومة بعينها بل هي ملك للشعب لوأ بدقّة وكلّما يترتب عليه سيعود أثره طبعاً على المجتمع. ومنها معلّات يتاجرن لأقرانهن من المعلمين في المدارس، ويسافرن - في الأيام الدراسية - لاستيراد البضائع - إن دعت الحاجة إلى ذلك في نظرهن وتطمئن قلوبهنّ على عدم سلهنّ من العمل لاحتمال أن توجد بينهن وبين مدير مؤسسة علاقة أسرية أو غيرها، وقد تدفق على سببة مؤية من الأرباح لهذا المدير!! ومنها كذلك استلام بعض المديرين رواتب المتوفين من موظفيهم. كم ممن توفوا من الموظفين وما زال بعض المديرين يستلمون رواتبهم في العمل، ولا يصل شيء منها إلى ورتتهم!!!.

وأما الصّراعات القبلية فلها دور كبير في هدر الطاقات والثروات، إنّ معظم ما تصرف ثرواتنا ومعادننا في المنطقة الحروب الأهلية وأكثرها بين القبائل المتنافرة. إنّ نعجب نحن فلا يعجب

المستعمرون الذين مضوا في تحقيق هدفهم في ذلك إذ بل ذلك قنابل زرعوها قبل خروجهم منها. وهي تفجر حيناً بعد حين. ي التي تحولت إلى القوى الخارجية اليوم التي تضع بصماتها في مجالات كافة في المجتمعات. وعلى ذلك يسلم البروفيسور حسن مكليضوء ويقول "، تاريخ أفريقيا المعاصر حلقة من التاريخ الأوربي، فقد انشغلت القبائل بصراعاتها على الموارد الرعوية والزراعية من مياه وأرض وتركت الدولة للمستعمر، وحينما راح الاستعمار طبع بصماته على كل مجالات الحياة في أفريقيا من خدمة مدنية ممرضة وعملة وأوراق نقد وشيكات وصحف ومذيع وسينما عابرة لحدود العشيرة لقبيلية، وجاءت كذلك مصطلحات الدولة الحديثة، العابرة لحدود القبيلة والعشيرة من انتخابات واقتراع سري ودستواز ومجفر ووثيقة إثبات الشخصية والتذاكر ثم خدمات البريد وتذاكر السفر والقوانين المدنية والجنائية والمناهج الاقتصادية واليأسية ونظم الأجور والمرتببات وهياكل الدولة من س دولة ووزير ووكيل وقائد جيش وعميد وسفراء وقناصل يمثلون الدولة ولا يعرفون سلطان القبيلة ولا رأس العشيرة"⁵².

ومن دلائل استمرارية الاستعمار إلى الوقت الحالي في المنطقة اتخاذ بعض الدول في المنطقة عملاتها عملات أجنبية وهي التي تركز عليها. كاستخدام بعضها عملات فرنسية ألا يعني ذلك الاستعمار؟ بل الأشد من ذلك هو إدارة القوى الخارجية سياسات البلاد ووضع بصماتها على مجالات الحياة كلها. وقد أشار البروفيسور حسن مكلي إلى ذلك حيث يقول تظل أهم آليات التغيير السياسي في يوطلة الخارجية والعامل الخارجي ممثلاً في أجهزة الاستخبارات وإمكاناتها التمويلية والتخطيطية الضخمة، فهي التي تزكي نيران الحروب وتلهب المواقف وتصنع الحكام"⁵³.

وأذكر أخيراً في هذا الإطار كثرة الإضرابات عن العمل، فهذه ظاهرة تتفاوت من دولة إلى أخرى، إلا أن أكثرها في دولة نيجيريا - على حسب معرفتي - وهي دولة تتع أكثر من الدول في المنطقة وات عديدة ومعادن كثيرة، ولست أدري لماذا لا تصرف هذه الخيرات في توحيد صفوف المواطنين. وأغلب أسباب هذه الإضرابات عدم التفاهم بين الحكومة واطالعم مال في الدولة وتوكل يتهم الآخر التقيصير ولا شك أن ما تولد كثرة الإضرابات خسائر مادية كثيرة للدولة.

ثانياً: الانهيار الخلفي:

ومما سبق ذكره خلال الحديث عن ثقافات غرب أفريقيا قبل دخول الإسلام من تنفيذ الإعدام إني القاتل وغيره مما ذكرنا ومن تطبيق الممالك المسلمة نابعة الأحكام الشرعية ونشر التعليم العربي الإسلامي يفهم من ذلك الالتزام بالأخلاق الفاضلة والمحافظة على الأمن القومي من شيم

أجدادنا في المنطقة، لكن قد خلف من بعدهم خلف أضاعوا الذّات الأصيلة الطيّبة واتّبَعوا الشّهوات واستبدلوا الأحسن بالّتي هي أدنى.. وترتّب على ذلك الانهيار الخلفي في المجتمع.

وأقوى الوسائل المستخدمة في ذلك أي لمحو ثقافتنا هي الأجهزة الإعلامية التي من المفروض أن تكون دوراً إيجابياً في محاربة الفساد في المجتمع وغرس أسس الأخلاق الفاضلة في نفوس الأبناء. لكن للأسف الشّدِيد أنّ أجهزتنا الإعلامية اليوم هي في ذاتها منبع ومورد الفساد، سواء مرئية منها أو سموعة، ولعلّك تصدّقني عند فتحك أكثر القنوات التلفزيونية القومية في المنطقة لمعظم الدّول، فأكثر ما تشاهد فيها دعايات لأنواع من الخمر، والأفلام الغربية الهابطة والأغاني الفاسدة ومن تلك يستدلّ لهم الجيل القادم أخلاقهم ويتعلّمون منها طرق وسبل تدمير الثقافة الصالحة، وتُشاهد فيها فتيات كاسيات عاريات بل كلّها موضع للأشْرار بأنواعها تجد فنانين ومغذّيين وممثلين في المنطقة يقدمون أعمالهم محاكين فيها رصفائهم من الدّول الغربية يتدّفطون بالأفكار السيئة. كثير ما تسمع من الإذاعات أشرطة الفنّانين والمغذّيين المفسدين لعقول شبابنا حيث لا يستحي بعضهم أن يصف عورات النّساء في أشرطةهم!!! وبدلاً من قيام الحكومات لمنع انتشار ومناولة أمثال هذه الأشرطة ومصادرتها أو حرقها في الأسواق، وتخصّص لها من الأرزاق، وتدعم من قبل الأغنياء وطبقات، بحجة أنّ أصحابها مساهمين في حراك اجتماعي ثقافي في البلد!!! تسهّل لهم إجراءات تسلّطهم إلى الخارج من منح تأشيرات وغيرها من عناء ومشقة وأمّا البطء اليومية والمجالات الدّورية هي إلا أداة لنقل القيم والأخلاق السّامية إرشاد وتوعية المواطنين بنمية الحقيقية وتقديم البلاد، إلا أنّها في منطقتنا أداة لمحاربة الثقافة التي حثّ المواطنين الفضيلة والالتزام بالسّلوك السّوي بل الجرائد مليئة بالكاذيب نظراً للعائد المادي، ومعظمها مليئة بصور نساء الماجنات ومزحومة بالأعمدة الفاحشة لا تأتي بأية فائدة للمجتمع لا من قريب ولا من بعيد لما تحتويه من الأفكار الهدّامة لتربية الأجيال القادمة.

إنّ الأدوار التي تلعبها الأجهزة الإعلامية في إفساد المجتمع أدوار جسيمة وخاصة في هذا العصر عصر العولمة وصراع الحضارات حينما يحاولون جعل دول العالم قرية واحدة، اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً ولغوياً⁵⁴. ومنهم من ما اتخذوها وسائل القنوات الفضائية والإنترنت التي تعقّم بها عقول الأجيال بالأفكار المسمومة⁵⁵.

نعم إنّ من مظاهر الانهيار الخلفي في مجتمع غرب أفريقيا غياب عفة النّساء، فإذهب إلى معظم الأسواق مثلاً في المنطقة تجدها مزدحمة بالنّساء الكاسيات العاريات حجّة مزاولة التّجارة وبعضهن رن من بلدٍ إلى آخر مهما صعب السّفر وبعدت المسافة، وقضيتي في السّفر أياماً وشهوراً، فلا يزال في هذا وذلك ما دامت الحركة حركة تجارية، ولا يفكرن فيما سيترتّب على ذلك من أضرار على

الهي عدم الاهتمام بتربية الأولاد، ويصبح هؤلاء الأولاد مشرّدين وسرّاقاً وقطّاعَ طرقٍ، وما أشبه ذلك نتيجة لقصورهن في تربية هؤلاء الأولاد وقد صدق القائل:

الأمّ وسة إذا أعددتها ** أعددتىَّ ٥ عبّطيبَ الأعراق⁵⁶.

من أنماط الانهيار الخلقي في غرب أفريقيا، الاختلاط بين الطّلاب والطّالبات واحتكاك بعضهم مع بعض، محتّجين بالحريّة. ومنها ارتداء معظم الطّالبات ملابساً لا بق بهنّ ، ويمكنك أن تزور بعض جامعاتنا في لقة كنموذج للتأكّد من هذه الأمراض الفتّاة، ومجرّد دخولك حرم بعض الجامعات . الطّالبات عاريات، وكأنهنّ جنّ لمعارض أزياء النّساء!!!. وفي الإطار نفسه تجد بعض الشّباب في منطقة غرب أفريقيا مرتدين ملابس المجانين وقد قصّدت أشعار رؤوسهم بأشكال جنونية، وهم لابسين ملابس مستورة من الغرب المكتوب عليها باللّغات الأجنبية ككتاباتهم على بعضها باللّغة الإنجليزيّة (I'M CRAZY) ومعناها (أنا مجنون) وهل هذا يليق بعامل فعلاً؟ بل تجد من يلبس ملابس الشّباب على الفساد بعبارة (JUST DO IT)، ومعناها (فعله فقط ولا تتردّد)، ويعني ذلك أن ب أيّ جريمة بدون تردّد .

من أهمّ ذلك أيضاً ما ينتشر في هذه الآونة الأخيرة في بعض الجامعات في المنطقة ظهور وانتشار جمعية سرية (CURT SOCIETY)، تكثر بين الطّلاب في هذه الآونة الأخيرة ومهام هذه الجمعية إلحاق الأضرار لخصومهم من طّلاب وقتلهم من غير حقّ، وإذا وقعت أية خصومة بين أحد أعضاء هذه الجمعية وطالب آخر، فلدّ الفعلي الوحيد منهم القتل، فكم من طلاب أهدرت أرواحهم في ذلك.

وعلى ذلك فإنّ منطقتنا في غرب أفريقيا تشكو من تلك الولايات وهي تبحث عن المنجى والملجأ لها، لتعود هذه المنطقة آمنّة نقرّة، ولكنّي أقول إنّ الطريق الوحيد للخروج من هذه الأزمات لها الالتزام بقوانين الإسلام التي هي الموافقة لثقافتنا المذكورة سابقاً . ليس كلّ ما وجدته الإسلام في البيئة حين دخوله إليهم العادات والثّقافات منبوذة بل عدل ما تحتّمها إلى تعديل وأقرّ ما صلحت بها للمجتمع وأضاف ما تعود فائدتها للبشر، وحذّر ممّا تعود ويلاتها على المجتمع. إذا نريد التخلّص من هذه الولايات كلّها. فرجع إلى ثقافة أجدادنا الإسلاميّة وأنظمتهم التّعليمية الإسلاميّة كيف حقّقت السعادة ، مع أخذ قدر ما تتناسب مع ثقافتنا من ثقافات أخرى وأنظمتها التّعليمية. ولعلنا نفهم ذلك حقيقة عند رجوعنا إلى القرآن الكريم حيث و، لنا طريق النّجاح والتخلّص من هذه الأمراض الموبقة في آيات كثيرة ومنها قوله تعالى: ﴿اللّهُ يَأْمُرُكُمْ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾⁵⁷. وفي محاربة الخيانة قوله تعالى ﴿اللّهُ يَأْمُرُكُمْ

تؤدِّ الأمانات إلى أهلها...⁵⁸ . وغيرها من الآيات الكريمة.

ولندرك تماماً بصمات لأنظمة التعليم العربية الإسلامية على منطقة غرب أفريقيا نستشهد بشهادة أهل الثقافة الغربية بذاتها وهو كلابرتون (CLAPPERTON) حالة البريطاني في ملاحظاته: " ،
شريعة القرآن في عهد مجمّد (دبلو)⁵⁹ تُطبّق بكلّ قوّة، فجميع البلاد عندما تكون في غير حالة
فإنّها تعيش أماناً، حتّى كأنّ يُقال بأنّ المرأة يمكنها أن تعبر من أقصى طرف البلاد إلى الآخر
املةً تابوتاً مملوءاً ذهباً"⁶⁰. أكّدت هذه الملاحظة في سياق شهادة شاهد عيانٍ في عهد أمير
كنوا (إبراهيم دافيقول) محمّد ز نغبي أحد قضاة (كنو): " . أقام العدلَ ، وأمر النّاس بالمعروف ونهاهم
عن المنكر، وأباد المتمرّدين وقطّاعِ الرّاق، وقطع أيدي السّراق، وهمّ. وردّ . عارة واستتبّ الأمن في
تّى كان النّاس لا يغلّقون أبوابَ في اللّيل، وتحرّك المواشي من دون رُعاة إلاّ في مواسم
الأمطار، وأمّ بن الله الطّرقَ في عهده؛ حتّى إنّ اللّفتليتر من مدينة كوكاوا إلى كوا من دون أن
برّض لأذى"⁶¹.

وفي الختام نسأل الله تعالى أن يجنّبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، ويوفّقنا إلى ما فيه سعادتنا
في الدّنيا والآخرة، لبيّ الله على نبيّنا محمّد وعلى آله وأصحابه وسلّم.

الهوامش والمراجع:

¹ - انظر: مطوية منشورة لأنشطة ملتقى الجامعات الأفريقية، جامعة أفريقيا العالمية ص: 1، وانظر كذلك:
<http://www.iua.edu.sd> International University of Africa, ACTIVITIES in African Universities Congress, January, 2006,

2- عثمان عبد السلام الثَّقافي، (الدكتور)، الإسلام في غرب أفريقيا، (القسم الثَّقري) مطبعة مدرسة سراج العلوم الإسلامية أوودي بكني لورن، الطبعة الأولى، 1993م، ص:2. وانظر مصطفى زغلول السنوسي(الشيخ) روائع المعلومات عن أقطار أفريقيا وبعض ما نعتت فيها من الملكات، مطابع الشرق الأوسط، الرياض، الطبعة الأولى 1411هـ - 1991م، ص: 112.

3 - عثمان عبد السلام الثَّقافي، (الدكتور)، الإسلام في غرب أفريقيا، (القسم الثَّقري) المرجع السابق ص:2. ومن يريد المزيد عن هذه الممالك فليطلع على المراجع التالية مثلاً: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، الطبعة الثالثة 1398هـ 1978م (ن ط). ص: 20 - 25. وكذلك الهجرات السياسية وأثرها في انتشار الإسلام في أفريقيا، دراسة تاريخية، لعبد الرحمة أحمد عثمان، المركز الإسلامي الإفريقي في الخرطوم، شعبة البحوث والنشر، إصدار رقم (9) 1411هـ - 1991م، ص:14-24. وطالع كذلك مقالة ك. محمود باللغة الإنجليزية عند حديثة عن الأدب العربي التقليدي في نيجيريا، في: Nigeria magazine, No. 145 1983. Gasikiya Corporation Limited, Zaria. The Arabic Literary Tradition in Nigeria. pp:37- 53.

4 - المرجع السابق.

5 - مصطفى زغلول السنوسي، (الشيخ) مرجع سابق، وانظر مامادو كارمبيري، التعليم الإسلامي في غرب أفريقيا، أوراق مقدّمة في ملتقى الحرمين الشريفين لخريجي الجامعات السعودية-المقام بنيجيريا - كانوا، تحت إشراف الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (9- 14229/11هـ - 25 - 27 /12/2002م. ج 1 ص:235.

6 - مصطفى زغلول، مرجع سابق.

7 - والولوف هم أكثرهم تطوراً وكانوا يؤلفون مجموعة من خمس ممالك وينتشر في نطاق عريض بين السنغال وغامبيا.

8 - وقد نشأت في المنطقة التي يحتلها اليوم الماندينجو دولتا غانا القديمة ومملكة مالي.

9 - وكلمة صونغاي تطلق على البلاد وليس على الناس وهم زنوج مخلطون بالطوارق والمغاربة أي بالعناصر البربرية والعربية.

10 - إسحاق إبراهيم أولايولا، معوقات تعليم اللغة العربية في المدارس العربية والثانوية الحكومية في جنوب نيجيريا، مرجع سابق، ص: 53، نقلاً من محمد الجوهرى، العلاقات الاجتماعية وقضايا التنمية في العالم الثالث، دار المعارف، القاهرة، 1982م، ص: 54. وانظر كذلك شيخو أحمد سعيد غلاندي، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، الطبعة الثانية، 1414هـ 1993م، ص: 225، نقلاً من:

The Relevance of the University to our Society, Ahmadu Bello University Press, No1, Zaria 1972.

11 - إسحاق إبراهيم أولايولا، معوقات تعليم اللغة العربية في المدارس العربية والثانوية الحكومية في جنوب نيجيريا، المرجع السابق، ص: 53.

12 - الشيخ آدم عبد الله الألوري الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني، مرجع سابق ص: 74. بتصرف يسير.

13 - محمد عبد الغني سعودي. الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، المجلد الثاني عشر، إقليم غربي إفريقيا (أ). 1419هـ - 1999م. المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، ص: 24-25.

14 - Page J. An Atlas of African History, Cambridge 1961, p:120.

15 - محمد عبد الغني سعودي. الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، المرجع نفسه، ص: 18. بتصرف.

16 - عبد الله عقيل عنقوي وآخرون: الحضارة الإسلامية: المقرر الرابع برنامج العلوم الإسلامية والأدبية، وزارة المعارف، التطوير التربوي، الإدارة العامة للمناهج، المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى 1407هـ/1987م، ص: 3، بتصرف يسير.

17 - انظر مصطفى السباعي، (الدكتور) السيرة النبوية دروس وعبر، دار الوراق، والمكتب الإسلامي، ص: 53.

18 - يوسف فضل. انتشار الإسلام في أفريقيا، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1979م، ص: 16.

19 - آدم عبد الله الألوري، (الشيخ) الإسلام في نيجيريا والشيخ عبد الله بن فودي، مرجع سابق، ص: 18.

20 - والقبيلة الأخيرة الكنتية تدعى أنها تنتمي إلى عقبة بن نافع، أنظر الحاج عثمان عبد السلام الثَّقافي الأدبي الألوري، الإسلام في غرب أفريقيا، مرجع سابق، ص: 29.

21 - وما زال بعض قبائل يوربا إلى يومنا هذا يقولون (*ESIN IMALE*)، أي دين المالبين، وذلك لدور المالبين الفعّال في نشر الدين الإسلامي بمنطقتهم.

22 - وللممالك الإسلامية التي أقيمت في المنطقة جهود جبّارة في نشر الإسلام في هذه المنطقة، بل قاموا بنشر الثقافة العربية الإسلامية على وجه أكمل، وقد طبّقوا الشريعة الإسلامية شؤون إداراتهم السياسية. وللتفاصيل راجع: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني مرجع سابق، ص: 20 - 25. وكذلك الهجرات السياسية وأثرها في انتشار الإسلام في أفريقيا، دراسة تاريخية لعبد الرحمة أحمد عثمان، مرجع سابق، ص: 14-24.

23 - الشيخ آدم عبد الله الألوري الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني مرجع سابق، ص: 74.

24 - سورة البقرة، الآية: 31

25 - سورة العلق، الآية: 1

- 26 - قطب مصطفى سانو، (الدكتور) النظم التعليمية الوافدة في أفريقيا قراءة في البديل الحضاري، سلسلة كتب الأمة، يصدرها مركز البحوث والدراسات، بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر، العدد 63. انظر الموقع التالي: <http://www.islamweb.net/verz/library>
- 27 - إسحاق إبراهيم أولايولا، معوقات تعليم اللغة العربية في المدارس العربية والثانوية الحكومية في جنوب نيجيريا، مرجع سابق، ص: 53.
- 28 - أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، ج/16، ص: 609-610. بتصرف يسير.
- 29 - محمد بن عبد الله الدويش، التعليم الإسلامي العربي، قراءات أفريقية، المنتدى الإسلامي، العدد الأول، رمضان 1425هـ-2004م، ص: 61-61.
61. وانظر فاروق إمام محمد، تدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية في المدارس الابتدائية والثانوية في شمال نيجيريا، ترجمة وتلخيص الأستاذ محي الدين جبرة، ندوة التعليم الإسلامي في أفريقيا، مرجع سابق، ص: 127-128. بتصرف.
- 30 - فاروق إمام محمد، تدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية في المدارس الابتدائية والثانوية في شمال نيجيريا، مرجع سابق، ص: 127.
- 31 - المرجع نفسه.
- 32 - ندوة التعليم الإسلامي في أفريقيا مشروع تطوير التعليم الإسلامي في أفريقيا، ص: 121-122.
- 33 - تقويم لعينات من مناهج التعليم العربي الإسلامي الثانوي في أفريقيا (بأداة تقييمية مقترحة) انظر التفاصيل في كتاب ندوة التعليم العربي الإسلامي في أفريقيا، مرجع سابق، ص: 107.
- 34 - الشيخ آدم عبد الله الألوري موجز تاريخ نيجيريا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م، ص: 94-95.
- 35 - الإسلام في نيجيريا، مرجع سابق، ص: 145-146. وقد سبق دخول هؤلاء الانجليز البرتغاليون حيث كانوا من أوائل السابقيين للتصنيف في غربي أفريقيا، وكان ذلك في نحو منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، فقد كان وصول أول مجموعة استكشافية تنصيرية في عام 1482م، في طريقها إلى (المناء) بغانا، وقد مرّ الوفد في طريقه إلى غانا بسواحل أقطار عدّة بغربي أفريقيا شملت كلاً من السنغال، وسيراليون، وليبيريا، وساحل العاج. حيث جرت محاولات منهم لإنشاء مراكز تنصيرية، إلا أنّ هذه المحاولات باءت كلّها بالفشل. ومن أحسن كتابات في التنصير في غرب أفريقيا - في رأيي- ما كتبه الدكتور بابكر حسن محمد قدرماري في مجلة الأمة، بعنوان التبشير النصراني في غربي أفريقيا، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية دولة قطر، العدد الرابع والأربعون - السنة الرابعة - شعبان 1404هـ - أيار (مايو) 1984م. ص: 44-47.
- 36 - المرجع نفسه ص: 146-147. وقد كتب البروفيسور أبو منقأ أوراقياً قدمها لمؤتمر الإسلام في أفريقيا، بعنوان موقف الخلافة السكتية من الاستعمار البريطاني النصراني، وقد فصل الحديث وحلّل فيه ملامسات تلك الفترة من تاريخ الخلافة السكتية، معتمداً في ذلك على ثلاثة مؤلفات تعتبر هي الموجهات الفقهية الأساسية لموقف المسلمين حيال الاستعمار البريطاني النصراني الذي وقع عليهم، وهي رسالة الوزير إلى أهل العلم والتدبر للوزير محمد البخاري، ورسالة ونصيحة إلى المعاصرين المعتنين بما يدخلهم في زمرة المسلمين الناجين للقاضي عبد الله بن علي بن أحمد. وإرشاد الحيارى في معاملة أئمتنا بالنصاري لأبي بكر بن القاضي أحمد سعد. انظر الإسلام في أفريقيا، مجموعة أوراق مقدّمة في مؤتمر الإسلام في أفريقيا أقامته جماعة الفكر والثقافة الإسلامية (الخرطوم-السودان). في أبريل 1992م. بتحرير من بروفيسر مدثر عبد الرحيم ود. التجاني عبد القادر. ص: 148-166.
- 37 - للحاج عمر جهود عديدة في رفع راية الإسلام ومقاومة المستعمرين الفرنسيين، وقد ساعدت حركته نشر الثقافة العربية الإسلامية في مناطق الجهاد، وصار القرن التاسع عشر الميلادي، وبحقّ، عصر ازدهار تلك الثقافة العربية الإسلامية. انظر الحاج عمر التكروري.. فقهه من السودان الغربي، بقلم د. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم. مجلة الفيصل، العدد (146) - شعبان 1409هـ - السنة الثالثة عشرة - آذار (مارس)/ نيسان (إبريل) 1989م. ص: 146.
- 38 - المرجع نفسه ص: 147.
- 39 - فقد أشار الدكتور قدرماري في مقالته المشار إليها سابقاً أنّ قد تردد كثيراً أنّ التنصير الصليبي هنا كان من جهود مجموعة من الزوج الأرقاء الذين أطلق سراحهم، ورجعوا إلى فريتاون بسيراليون ثمّ توجهوا إلى نيجيريا، فاستقرّ بعضهم بلانجوس، وبعضهم بأبيأوكوتا، وبعضهم في بادجرى حيث عملوا في التنصير. ولكن حقيقة الأمر أن المنصرين الأوربيين هم الذين باشرنا بالتنصير بأنفسهم في جميع البلاد التي طرّقوها بغربي أفريقيا،

أما غيرهم ممن تمّ تحريرهم من الأفريقيين فقد كانوا معاونيين فقط، وذلك بدليل تواجد المنصّرين الأوروبيين بغربي أفريقيا إلى يومنا هذا. بل أنّه في عام 1860م حين تعب السكّان بجنوبي نيجيريا من هيمنة المنصّر الأوروبي، علا النداء لتأسيس كنائس على نمط أفريقي، وتحت إدارة وسيطرة الأفريقيين، وقد عارض المنصّر الأوروبي هذا النداء إلا أنّه أخيراً انتهى الأمر بتأسيس كنيسة بواسطة الأفارقة في لاجوس عام 1901م وسميت بكنيسة باثل الأفريقية. (Bethel African Church) "انظر مجلة الأمة، بعنوان التنشيط النّصراني في غربي أفريقيا، مرجع سابق، ص:

45-46. نقلاً من: Babalola, E.O. Christianity in West Africa (An Historical Analysis) 1981, Ado, Nigeria. page 10.

40 - وقد بدأت صحوة علمية تجاه إحياء كتابات اللّغات الإفريقية بالحرف العربي، ومن الذين كتبوا في ذلك الأستاذ الدكتور شيخ أحمد عبد السلام، الذي كتب كتابه ونشره بعنوان "كتابة لغة يوريا بالحرف العربي". وللاستاذ محمّد العاشر بحث مقدّم بمعهد الخرطوم الدّولي للغة العربية للدّرجة الماجستير بعنوان: "كتابة لغة الهوسا بالحرف العربي المنمّط" وغيرها من كتابات لغات أفريقية بالحرف القرآني. وهناك ندوة علمية أقامتها منمّطة العربية للتربية والثّقافة والعلوم عبر معهد الخرطوم الدّولي للغة العربية بالخرطوم - وقد جعلني الله من اللّجنة التّنظيمية لها- وهي ندوة بعنوان "كتابة اللّغات الأفريقية بالحرف العربي" في عام 2001م. بقاعة الشّهيد الزّبير بالخرطوم، حيث حضرها جمع كثير من الباحثين والعلماء من أنحاء العالم.

ومما يبشر بخير في ذلك كذلك إنشاء وحدة خاصّة تهتمّ بهذا الشّأن في جامعة أفريقيا العالمية تسمّى (وحدة كتابة لغات الشّعوب الإسلامية بالحرف القرآني) يديرها الدكتور بابكر قدرماري، ويشرف عليها البروفسور يوسف الخليفة أبوبكر وقد تقلّدت الوحدة بتدريب الطّلاب من جنسيات مختلفة على كتابة لغاتهم غير العربية بالحرف القرآني المنمّط. وقد فرغت إلى الآن من تدريب (12) وبتراوح عدد المتدريين في كلّ دفعة (9-12) من البنين والبنات. انظر نشرة معهد اللغة العربية بجامعة أفريقيا العالمية. لشهر نوفمبر ص: 3

41 - المرجع نفسه، ص: 148.

42 - المرجع نفسه، ص: 149-150.

43 - مجلة الأمة، بعنوان التنشيط النّصراني في غربي أفريقيا، مرجع سابق، ص: 49.

44 - الشيخ أدام عبد الله الألوري الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي مرجع سابق، ص: 151

45 - المرجع السابق، ص: 10 مع تصرّف يسير.

46 - المرجع السابق، ص: 10

47 - انظر: <http://fbcusl.com>

48 - المرجع السابق.

49 - قطب مصطفى سانو، (الدكتور) النظم التعليمية الوافدة في أفريقيا قراءة في البديل الحضاري، سلسلة كتب الأمة، مرجع سابق. انظر:

ummah_Book <http://www.islamweb.net/verz/library>

50 - المرجع السابق.

51 - سورة المائدة، الآية: 1.

52 - المرجع السابق.

53 - أنظر فاتحة الكتاب لإشكالية السّلطة في أفريقيا (مع التّطبيق على نيجيريا) أمباي لو. مرجع سابق.

54 - داود عبد القادر إلبغا، استراتيجيات نشر اللغة العربية في ظلّ العولة وصراع الحضارات، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في تعليم

اللغة العربية، بمعهد الخرطوم الدّولي للغة العربية بالسودان، (رسالة غير منشور) 1423هـ - 2002م. ص: 19.

55 - كل هذه ذات وجهين الخير والشرّ إلا أنّ وجوه الشرّ أكثر فيها حالياً.

56 - بيت من قصيدة لحافظ إبراهيم، أنظر محمّد عبد الله مخيون وآخرون، القراءة للمرحلة الثّالثة وما في مستواها. جمعية الدّعوة الإسلامية

العالمية، ص: 46.

57 - سورة النّحل الآية: 90

58 - سورة النساء، الآية: 58

59 - الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ بَلَلُو هُوَ الْوَلَدُ الرَّابِعُ لِلشَّيْخِ عُثْمَانَ بْنِ فُودِيو ، وَأُمُّهُ حَوَاءُ ، وَقَدْ تَلَقَّى تَعْلِيمَهُ مِنْ أَبَوَيْهِ عَالِمِينَ . وَكَانَ أَبَوَيْهِ وَأَجْدَادُهُ مِنْ أُسْرَةِ عَالِمَةٍ انظُرْ مَقَالََةَ لِلسُّتَاذِ إِبرَاهِيمِ مُحَمَّدٍ ب. زَاغَا . قِي كَلَامُهُ :

Ustas/Ibrahim Mohammed B.Zagga. The Political Idies of Shehu Usman Bin Fodiye as Actualized by His son Muhammad Bello the Amir al-Muminin of Sakkwato Caliphate. Shaykh Uthman Bin Fodi, Research Papers of the International Symposium Organized By I.U.A. in Cooperation with ISESCO, Khartoum: 26th - 28th. Jumada Al-Akhirah, 1416 AH 19th. - 21st. November, 1995 AD. Edited by Omar Ahmed Saeed & Abdul Qayum :Abdul Halim Al- Hasan.p:245

60 - مُحَمَّدُ الثَّانِي عُمَرُ مُوسَى ، الشَّيْخُ عُثْمَانُ بْنُ فُودِي وَالطَّرِيقُ لِاسْتِعَادَةِ الْهَيُوتِ . قَرَاءَاتٌ أُفْرِيْقِيَّةٌ ، مَرْجِعٌ سَابِقٌ ، ص : 41 .

61 - الْمَرْجِعُ السَّابِقُ ، وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا ، نَقْلًا مِنْ إِبرَاهِيمِ أَدُو : Sharia and the Press in Nigeria p:280